العرب نقلوا هذه الاسماء في غالب الاحيان عن ارسطو وقد ذكر هذا الطائر باسمه الاوّل

وللاب انستاس مقالة في هذا الموضوع في مجلة المشرق (٣ : ٧٣٢) اثبت فيها ان الصفراغون يونانية الاصل من Sparganion ومعناها ذو الشريط لا من Ossifragus باللاتينية كما قال لكلار في ترجمة مفردات ابن البيطار

وقد ذكرت آنفاً ان الصفراغون اي الطرغلودس وعصفور الشوك طائران مختلفان ذكر كتاب العرب كلاً منهما على حدة وكذلك ارسطو فانهُ سمّى الاوّل Trochilos والثاني Aigithos . وللطرغلودس اسم آخر وهو الضريس اضربت عن ذكرهِ لاختلافهم فيهِ اما الكركيّ فذكرها ياقوت في معجم البلدان الدكتور امين المعلوف

حجة المجرمين

روى احد الكتّاب عن طبيب اسمهُ مثلي كان رئيس اطباء السجون ومن المهتمين بدرس اخلاق المجرمين ولص اسمهُ وليس قضى سنين كثيرة في السجن قال

وقف وليس امام الدكتور مثلي ويربطهُ في يدهِ وهو لا يبس يبتسم شفقة . فقال لهُ الدكتور ها قد خرجت من السجن فما مرادك ان تعمل

فنظر اليهِ وكان طويل القامة نحيف الجسم وقال لا اعلم ماذا اعمل لان الناس لا يأتمنون من كان من اهل السجون ولا لوم عليهم ولكن ماذا يحمل من كان مثلي واراد ان يحسن سيرهُ بعد ان عوقب العقاب الصارم فتاب لانهُ صار يعرف ما هي عاقبة الجرائم . قال ذلك وظهر عليهِ كأنهُ كان يتألم في داخلهِ

فقام الطبيب الى خزانة فتحها وصبّ منها دواء في كاس وقال اشرب هل اشتدّ الألم عليك الآن

فانفض رأسهُ وشرب الدواء وبعد قليل قال هذا هو الشيء الوحيد الذي انعشني منذ خرجت من السجن الى الآن وقد اجتهدت حتى وجدت خدمة عند رجل ثم عرف اني كنت محبوساً فاخرجني من خدمتهِ

ولم يستغرب الطبيب امرهُ لانهُ يعرف عن الوف خرجوا من السجن وعادوا الى ارتكاب الجرائم لانهم لم يجدوا احداً يأتمنهم على عمل ولولا ذلك لماتوا وماتوا مثل غيرهم من الناس بعد ان ذاقوا مرارة السجن . فقال لوليس اذاً لا مندوحة لك من السرقة او الموت جوعاً

فقال لم قضيت في السجن ثلاثين سنة وهي افضل سني حياتي . وقد لا تصدقني ولكني اقول لك الصدق اني لو وجدت عملاً اعيش بهِ ما كنت ارتكبت جريمة قط . واول مرة حكم فيها عليَّ كنت بريئاً وكان المجرم غيري ولكني لا الوم احداً لان المجرم الحقيقي كان يشبهني تماماً ولو كنت مكان القضاة لحكمت كما حكموا . وقد ذقت العذاب وتجرعت مرارة الموت وانا في السجن ولكني صبرت حتى انتهت مدة سجني فلما خرجت وجدت نفسي لا ازال سجيناً ينظر الناس اليَّ شزراً فلم يبقَ لي الاَّ ان اقتدي بالذين عرفتهم في السجن فشبت مع بل لتنش ولا بدَّ من انك تتذكرهُ وكنا نشتغل معاً ونعيش ولم نكن نسرق شيئاً الاَّ اذا عضنا الجوع ولم نجد سبيلاً آخر لحفظ الرمق . وكان لتنش مضطرًّا ان يعول ابنهُ ولولا ذلك لامكننا ان نتبلغ بما كنا نكسبهُ سهلاً كان قليلاً ونكفي بهِ . وقد بذل كل ما في وسعهِ لتعليم ابنهِ وتهذيبهِ حتى لا يسلك في طريقنا وكثيراً ما كان يقول اني اقتلهُ اذا عرفت انهُ يكون لصًّا . فارسلهُ الى مدرسة وكان ينفق عليهِ وانا لم ارَهُ قط ولا كنت اعلم اين المدرسة التي وضعهُ فيها . ثم مات لتنش كما تعلم

ولما قال ذلك بحَّ صوتهُ حتى كاد يختنق ثم قال ثم مات . مات لكي يخلصني ولقد كان يمكنهُ ان يفوز بنفسهِ لما هجم علينا رجال البوليس ولكنهُ لم يفعل بل عاد اليَّ ليحضرني فاطلق البوليس عليهِ الرصاص وقتلهُ ونجوت انا وقد نشأت عن ابنهِ فلم اجدهُ ولعل ذلك اصلح لهُ

وكان وليمس يتكلم والطبيب ينظر اليهِ فلم يجد فيهِ شيئاً من امارات الاشقياء . كان طويل القامة نحيف الجسم كأنهُ من الكتَّاب . فقال لهُ اني في حاجة الى رجل يقطع لي الفقرات من الجرائد التي تناسب كتابي فهل تفعل ذلك

فزاد وجه وليمس اصفراراً وانقبضت اصابعهُ ثم انبسطت ووقف الريق في حلقهِ ومنعهُ عن الكلام لان السرور طفح على قلبهِ وبعد لحظة تمكن من النطق وقال حبًّا وكرامة لقد غمرتني بمعروفك يا مولاي واني اعدُّ خدمتك شرفاً ولا انسى ذلك ما دمت حيًّا

فاخرج الطبيب سيكاراً واشعلهُ وقال لهُ قل لي يا وليمس هل عاودك ذلك الالم مراراً كثيرة من عهد قريب

فقال لم اراهُ يعاودني المرة بعد الاخرى فقل لي الصحيح ولا تخفِ عني كم يمكن ان اعيش ايضاً

فقال الطبيب سنتين اذا اعتنيت بنفسك وقد تعيش اكثر ولكن ذلك نادر فدبر امرك ولا تجهد نفسك وابعد عن كل ما يهيجك . وكان يتكلم معهُ كطبيب مع صديقهِ لا كسيد مع اجيرهِ

ومرّت الايام على وليس وهو جارٍ في عمله عند ذلك الطبيب بهمة ونشاط ولم يكن احد في البيت يعلم من ماضيهِ شيئًا . ورأى فيهِ الطبيب معينًا فارقًا لطباع المجرمين واخلاقهم فألّف كتابًا في الجرائم والمجرمين ادهش العالم بما فيهِ من قوة الحجّة وصدق البيان

وحدث بعد ذلك ان وليس كان جالسًا في غرفتهِ بعد ان اتمّ معلمهُ تأليف كتابهِ فسمع واحدًا يذكر اسمهُ فقلق لذلك وخفق ضميرهُ وقال في نفسهِ هذه نهمة لم أكن انتظرها وقد لا استحقها فلا عجب اذا فقدتها ثم رأى واحدًا من الخدم صاعدًا مسرعًا الى غرفة زوجة الطبيب وكأنهُ اخبرها شيئًا هامًّا فنزلت مسرعة ووجدت في الدار اثنين من رجال البوليس فقالت لها ان الدكتور ليس هنا الآن . فقال احدهما اننا اتينا لنرى المستر وليس لا لنرى الدكتور . فقالت المستر وليس الذي يساعد الدكتور . فقال الآخر نعم هو بعينهِ اللص المشهور . ولما قال ذلك عرتها الدهشة ووقفت لا تدري ما تقول . فقال لها احدهما يظهر انك لا تعلمين ذلك فارجو المعذرة يا مولاتي . وقال رفيقهُ لقد حدثت سرقة في البنك الاهلي واتينا . . . فقالت هل اشتبهتم بهِ فقال الآخر كلاَّ كلاَّ بل ظننا اننا نتذاكر معهُ في هذا الموضوع لعلهُ يرشدنا . وقبل ان يتم كلامهُ فُتح الباب ودخل زوجها ورأى الرجلين وهما من البوليس السري والتفت اليها فقرأ حيرتها ودهشتها في عينيها فقال لها تنحّي الى مكتبي . ففهمت زوجتهُ مرادهُ فصعدت الى غرفتها ولما مرّت امام غرفة وليس سارت مسرعةً كأنها خافت ان يخرج منها ويهجم عليها اما هو فنزل الى مكتب معلمهِ وقرع الباب ودخل فقال لهُ احد رجال البوليس لقد سرق البنك الاهلي البارحة واتينا لنقف على رأيك عمن تظن السارق

فقال هل انتما مشتبهان بي

فقال احدهما كلاَّ فان الدكتور قد اراح بالنا من هذا القبيل ولكن ظننا . . . . . ثم حُصر عن الكلام لانهُ رأى وليس محدقًا بنظرهِ اليهِ . فقال لهُ وليس هذا شأنكم دائمًا فانكم تسيئون الظن بكل احد . فاسمع لي يا دكتور ان الرجل لهذين الرجلين اني لا اساعدهما في شيء مطلقًا

فاخذا يعتذران وخرجا وهما يكرران الاعتذار خوفًا من الطبيب لان لهُ منزلة رفيعة عند ذوي الامر

واغتاظ الدكتور وليس مما فعلهُ هذان الرجلان لانهُ كان يبحث في فعل الكينة والمدو بوليس فجاء عملهما عثرةً في سبيل بحثهِ عدا ما لهُ من الاثر السيء في زوجتهِ . وصعد الى غرفتها حالاً فوجدها قد اقفلت بابها ولما فتحتهُ جعلت تلومهُ وتقول كيف تأتمن لصًّا على

السكن معنا في بيت واحد وتحت سقف واحد. اليس في امكانه ان يقتلنا كلينا في ليلة واحدة وتكون انت السبب في ذلك لانك اوقعته في هذه التجربة

اما هو فجعل يبين لها ان الرجل على حافة القبر وانه لو كان سليماً ما كان يمكن ان يرتكب جناية مثل هذه لان الحاجة هي التي الجأته قبلاً الى السرقة اما الآن فانه آكل شارب لا يحتاج الى شيء ثم قال نعم اني اخطأت لاني اخفيت عنك امره ولكنني خفت ان تقلقي لذلك فتضيع هذه التجربة الثمينة وهي تجربة تشغيل المجرمين لكفهم عن الجرائم وانا محتاج اليه وهو محتاج اليّ افلا تساعدينا كلينا

فقالت بصوت مرتجف سأبذل جهدي ولكني متأكدة اني ما عدت أقام مستريحة بعد الآن

وكان الامر كما قالت حتى صار زوجها يضطر ان يسقيها بعض المسكنات لتسكين بالها. اما قلق وليس فكان اشد من قلقها لما علم انها قلقت بسببه وكان قد مضى عليه ستة اشهر قضاها بالراحة والهناء فتنغص عيشه من جديد وصار يفكر ماذا يعمل في المستقبل اذا اضطر ان يخرج من ذلك البيت لاجل راحتها. وكان يفتح شباك غرفته ليلاً ويقف فيه ليبرد رأسه واتفق ذات ليلة انه بينما كان جالساً على هذه الصورة يلتفت من الشباك الى ما امامه رأى شبحاً يتحرك في ظل البيت وشخصاً دار حول الزاوية فسمع ما كان فيه وجعل يصغي الى كل صوت وكل حركة فادرك للحال ان شباك غرفة المائدة قد فتح وان لصاً دخلها فاعجب بمهارته لانه كسر الشباك من غير ان يسمع له صوت فلبس ثيابه حالاً ونزل خلسة كأنه هو السارق ومرّ في طريقه امام غرفة زوجة الطبيب واصغى اليها فعلم انها مستغرقة في نومها فاستمر في طريقه الى ان وصل الى باب غرفة المائدة فوقف وراء ستارته وراقب السارق واذا هو يجمع الآنية الفضية ويضعها في كيس كبير. فمدّ يده خلسة الى حيث مفتاح النور الكهربائي وفتحه فانارت الغرفة فجأة ودهش اللص فالتفت الى مسدسه وكان قد وضعه على مائدة بجانبه فسمع وليس يقول له من وراء الستارة . قف في تلك الزاوية ولا تتحرك . فظن اللص ان معه مسدساً وقد وجهه الى رأسه والا ما كلمه بهذه اللهجة فوقف في الزاوية لا يبدي حراكاً . وازاح وليس الستارة ودخل ووقف بين اللص ومسدسه ونظر اليه فاذا هو شاب في الثالثة والعشرين نحيف الجسم ليس في وجهه شيء تنفر منه الطباع فذكّره بوجه آخر كان يعرفه وقال له ما اسمك . فاجابه ماذا يعنيك من اسمي قُل ان اسمي سمث مثلاً

فقال له وليس هل سميت نفسك بهذا الاسم مراراً كثيرة . فقال كلاً بل هذه اول سرقة سرقتها لم افلح ولكن لا بأس فالانسان يجد طعاماً في السجن ومأوى يبيت فيه

فقال وليس أهذه اول سرقة او اول سرقة أُخذت فيها . والظاهر انك لم تجرب السجن والاَّ ما كنت تتكلَّم عنه بهذا الاستخفاف

فتبسم اللص وقال لهُ يظهر لي انك انت تعرف السجن وقد جربتهُ

فقال وليس نعم اعرفهُ وقد جربتهُ

فضحك اللص وقال اذاً انت سبقتني الى هذا المكان وانا اعتديت عليك لخذ حصتك وانا اخذ حصتي . ثم حمل الكيس وحوَّل وجههُ نحو الشباك ليخرج

فقال لهُ وليس اصبر ولا داعي للعجلة

فقال اللص ان كنت تعطيني حصةً من سرقتك فانا اعطيك حصة من سرقتي

فقال وليس اني اعطيك افضل حصة حصلت عليها وهي النصيحة لك

فقلب اللص شفتيهِ وقال لهُ قل لي ما هو اسمك

فقال وليس لا اسم لي ومرادي الآن ان اقرع الجرس الذي ينادى بهِ البوليس ليأتي ويقبض عليك

فقال اقرعهُ حالاً فانا شتركان ولكن قل لي ما اسمك

ففكر وليس قليلاً ثم قال اسمي وليس . فقال اللص وليس سارق البنوك

فقال وليس نعم ولكني تركت هذه الصناعة وتبت عنها لاني رأيتها خسيرة

ولما قال ذلك ابرقت اسرَّة اللص وظهرت لهُ بارقة من الامل فقال وانا اسمي جم لنتش انا ابن بل لنتش رفيقك

فقال وليس كيف عرفت انهُ رفيقي

فقال اللص عرفت ذلك واشياء اخرى كثيرة من عشرائي

قال ذلك بصوت الآسف النادم

فقال وليس اذاً لم يجدك جمد اليك شيئاً فقد طالما اجتهد لكي ينجيك من هذه الهلكة

فقال اللص لا تستغرب ذلك فان العلة في الدم

فقال وليس كذبت ولو كنت تعرف عائلة امرك كما اعرفها وكما عرفها ابوك لقطعت يدك قبل ان تلمس ما لغيرك . ولكننا كلنا نتعلم من كبار السجن يعلم ولكنهُ يقتل . كل شيء هاهون من السجن ولكن كيف العمل والعالم فاسد وهو الذي يجبر من كان مثلنا على التماس خبزه بالحرام

فقال الشاب صدقت واذا مكنتني الفرصة فاني لا ارتكب جناية أخرى . اقسم لك اغلظ الاقسام اني اتوب من هذه الساعة . وأؤكد لك اني اتيت الى هنا على غير رضاي . شغلني

وانا اشتغل واحصل خبزي بعرق جبيني شغلني اكراماً لروح والدي

والظاهر ان كلامهما ايقظ زوجة الطبيب فنهضت وجعلت تصغي اليهما ثم ايقظت زوجها وقالت انها سمعت حديثاً في غرفة المائدة فنهض واخذ مسدسهُ ييدو وسار الى تلك الغرفة . وسمع وليمس صوت دخوله اليها فاطفأ الانوار الكهربائية حالاً . وخاف الشاب وطلب الفرار اما وليمس فاسقط في يدو لانهُ لم يعلم ما يفعل فاذا ترك الشاب يهرب أُخذ هو بدلاً منهُ ولم يكن قد نسي ما قاساهُ في السجن واذا لم يدعهُ يهرب فالسجن امام ذلك الشاب المسكين ولا مناص لهُ منهُ . ثم قال في نفسهِ انا مائت على كل حال فافديهِ اكراماً لوالدو . وكان قابضاً عليهِ ييدو فتركهُ واسرَّ في اذنهِ قائلاً اهرب وانجُ بنفسك فخرج من الشباك كما دخل والحال اضاء وليمس النور الكهربائي . فقال لهُ الطبيب من انت قف مكانك والاَّ اطلقت الرصاص عليك ثم امعن نظرهُ فيهِ وقال اذاً انت وليمس . ظننت انك لصاً دخل ليسرق . ثم التفت واذا الآنية الفضية مجموعة امامهُ والشباك مفتوح فتألم في داخلهِ كأنهُ قال في نفسهِ ان كل اعتنائي بهذا الرجل لم يجدِ نفعاً . ودخلت زوجتهُ حينئذٍ وقالت لهُ اين آراؤك الصائبة . ان بداهة المرأة اصح من كل فلسفات الرجال . قالت ذلك ونادت البوليس بالتلفون حالاً . فامتقع وجه وليمس واصطكت ركبتاهُ حتى لم يعد يستطيع الوقوف فجلس على كرسي وحاول الطبيب انهاضهُ فعجز فاسرع واتاهُ بقليل من البرندي وسقاهُ اياهُ غصباً عنهُ ونظر في وجههِ نظر الاسف لانهُ شعر كأن كل آمالهِ حبطت وكل آرائهِ فسدت لكنهُ لم يستطع ان ينفي من نفسهِ تعلقهُ بهذا الرجل وحبهُ لهُ ولو خدعهُ الى هذا الحد . ثم مضى الى خزانة الادوية ومزج لهُ دواء يحسبهُ من اقوى المنعشات وسقاهُ اياهُ فلم يجدِ نفعاً . ووقفت زوجتهُ حيرى في امرها لانها رأت شدَّة انفعالهِ واذ هم كذلك قرع الجرس فزاد الطبيب قلقاً فقالت لهُ زوجتهُ انا اذهب واصرفهم فقال لا تفعلي ليدخلوا فانهم يجدونهُ جثة بلا روح . ولكن صوت الجرس نبَّه وليمس ففتح عينيهِ والتفت الى ما حولهُ فرأى رجال البوليس ومعهم شاب نحيف الجسم اصفر الوجه . وقال احدهم للطبيب لقد كان نداؤك لنا الآن من حسن حظك لاننا رأينا هذا اللص متسوراً حديقة بيتك ليهرب منها فهل سرقك

فاستجمع وليمس ما بقي فيهِ من الرمق وقال للطبيب هذا ابن لنتش . ففهم الطبيب واقعة الحال وقال لمدير البوليس لقد اخطأتَ في ظنك وانا الضامن لهذا الشاب فاطلق سبيلهُ . وكان وليمس يجاهد وروحهُ تخرج في صدرهِ ويتا الحضور شاخصون اليهِ رأوهُ يتبسم كمن التقى بصديق حميم ثم سمعوهُ يقول اطمئن يا بل فقد نجا ابنك . واسلم الروح